

وموع الأحرار

سليم أحمد حسن



أنهار

حقوق النشر الإلكتروني محفوظة للناشر

anhaar.com

الحقوق الفكرية محفوظة للكاتب

نشر بتاريخ ٢٠١٤ / ١٠ / ٢٠١٤

مجلة أنهار الأدبية

دموع الأحرار

سليم أحمد حسن

وستبقى القدس عاصمة فلسطين...

من قال بأن الكرك ،
تبعُد عن بيتِ خليلِ الرحمن
أو أن السّلطُ ، تبعُد عن نابئسٍ ..
أو إربدُ ، عن طبريا أو بيسانُ .

من قال بأن القدس ،
تبعُد شبرًا عن عمان؟
أبدًا ، فالضّفةُ والضّفةُ للقلب وريدان .
بهما نفسُ الحبِّ ، ونفسُ الدّمِّ ، ونفسُ الإنسانِ .
والوحدةُ بينهما قائمةٌ ،
يحفظُها ويباركها الرّحمَنُ .

من قال بأن القدس ،
تبعُد عن أيتةِ عاصمةِ عربيّةِ؟
من قال بأن القدس ،
تبعُد عن أيتةِ عاصمةِ إسلاميّةِ؟

فالقدسُ بقلبِ الأُمَّةِ ، من بغدادَ إلى تَطَنوانُ .
والقدسُ بقلبِ الأُمَّةِ ، من جزر القمرِ
لباكستانُ.

القدسُ هيَ النبضُ ،
هيَ الوعدُ ، وطُهرُ الإيمانُ .
القدسُ هيَ الصخرةُ ،
معراجُ رسولِ الله " صلى الله عليه وسلم " .
القدسُ هيَ الأقصى ، قبِلتنا الأولى .
وأرضُ باركها الرحمنُ .
القدسُ قيامةُ عيسى ، " عليه سلامُ الله " ،
وصوتُ الجرسِ وصوتُ أذانِ .
القدسُ هيَ الأسوارُ ، هيَ الأبوابُ ،
هيَ الأسواقُ ، هيَ الإنسانِ .
القدسُ ستبقى عاصمةَ فلسطينِ ،
وواحةَ أمنٍ واطمئنانِ .

يا عربُ ، القدسُ تضيغُ ،

أفيقوا وأعدّوا العُدَّةَ .
يا من آمننتم بكتابِ الله ،
اتحدوا واللهُ سيُنجزُ وعدهُ .
يا حكماءَ بهذا العالمِ، عودوا للحقِّ ،
فالحقُّ هو الباقي وحدهُ .
لنَّ يُهْزَمَ أبَدًا ،
وسيصمُدُ حتى في وجهِ الطوفانِ .
والقدسُ ستبقى عاصمةَ فلسطين ،
وواحةَ أمنٍ واطمئنانٍ .
فالقدسُ بقلبِ الأُمَّةِ ،
من بغدادَ إلى تطوانٍ .
والقدسُ بقلبِ الأُمَّةِ ،
من جزرِ القمرِ لباكستانٍ .

* * *

قُمْ يَا صَاحِبَ الدِّينِ ...

الناسُ في بحرِ الضلالةِ يَعمَهُونُ
وعلى المنافعِ في الدُنا يتكالبونُ
القرشُ أضحى سيِّدًا يا ويحَهُمُ
بسبيلِهِ قَدْ يَقتُلونَ وَيُقتَلونَ
باعوا بهِ حُرِيَّةً هي مَنكُهمُ
وَضَمائِرًا وَأَعزَّ ما هُمُ يملِكونَ
أكلَ القويِّ ضَعيفَهُمُ فتباعَدوا
اثنانِ هُمُ أسيادُ أو مُستَعَبَدونَ
يا ناسُ ما نَفَعُ الحِياةِ إِذا خَلا
منها الحِياءُ وعاشَ أربابُ المُجُونِ
يا ناسُ ما نَفَعُ الحِياةِ إِذا عَلا
فيها الوَضِيعُ وَحُطَّ من شَرفِ مَاصُونِ
يا ناسِ ذَكَرِي مَولِدِ الهادِي لِناسِ
العِبرَةُ الكَبرى فَهَلّا تَتَقَوونَ

يَا نَاسُ طُوفَانُ الضَّلَالِ يَأْتِكُمْ
وَيَغِيْبِكُمْ يَا نَاسُ أَنْتُمْ سَادِرُونَ

غَرَّتْكُمْ الدُّنْيَا فَأَعْرَبْتُمْ بِهَا
وَحَيَاتُكُمْ تَفْنَى وَأَنْتُمْ رَا حِلُونَ

فَاسْتَلْهِمُوا سُبُلَ الرِّشَادِ فَوَيْلٌ لَكُمْ
يَوْمَ النُّشُورِ ، فَمَا تُرَاكِمُ فَاعْلُونَ

يَا نَاسُ بِالْإِيمَانِ نَحِيَا سَادَةً
وَبِعِزَّةِ الْأَمْجَادِ تَكْتَحِلُ الْعِيُونَ

يَا نَاسُ قُدْسُ اللَّهِ مَا زَالَتْ بِنَا
تَدْعُو الضَّمِيرَ وَنَحْنُ عَنْهَا غَافِلُونَ

يَا نَاسُ أَرْضُ الطَّهْرِ تَرْجُو نَصْرَنَا
وَالْقُدْسُ بُحَّ آذَانُهَا يَا مُؤْمِنُونَ

وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى يُنَادِي أَهْلَهُ
إِنَّ الْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُونَ

هَلْ نَخْوَةٌ الْإِسْلَامِ قَدْ مَاتَتْ بِكُمْ
أَيُّ الرِّجَالِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُخْلِصُونَ ؟

قُمْ يَا صِلَاحَ الدِّينِ وَحَذِّ أُمَّةً
ضَاعَتْ وَضَاعَ طَمُوحُهَا وَالطَّامِعُونَ

عَاشَتْ عَلَى أَمْجَادِهَا فِي عَفْوَةٍ
وَتَقَاسَمَ الْخَيْرَاتِ فِيهَا الطَّامِعُونَ

قُمْ يَا صِلَاحَ الدِّينِ وَاجْمَعْ شَمْلَهَا
وَأَنْهَضْ بِهَا، لَا عَاشَ فِيهَا الْخَائِفُونَ

قُمْ يَا صِلَاحَ الدِّينِ جَدِّدْ غَزْوَةً
وَاسْتَرْجِعِ الْأَقْصَى وَهَاتِيكَ الْحِصُونَ

قُمْ يَا صِلَاحَ الدِّينِ وَارْفَعْ رَايَةً
خَفَاقَةً بِالنَّصْرِ وَالْحَقِّ الْمَصُونِ

وَأَمْسِخْ دَمُوعَ الْقَدْسِ وَالثَّمَّ جُرْحَهَا
وَاكْتَبْ عَلَى الْأَبْوَابِ، عَادَ الْفَاتِحُونَ

أوصيكَ حفيدي

أوصيك حفيدي ..أنت وكل الأطفال ..
يا أمل الحاضر والمستقبل في الأجيال
يا بسمه حبّ في دنيا ..
ما عادت تعرف معنى الحب .
يا ومضة نور ساطعة ..
شقت كالصبح ظلام الدرب .
يا موجة حق صاخبة ..
في بحر ضلال .. يا أطفال ..
سأحدثكم من قلب مملوء بالحبّ وبالآمال .
إن شئتم أن تحيوا أحراراً كرماء ..
أوصيكم بالإيمان ..
بالله .. وبالوطن .. وبالحرية ..

فإنّ الحقّ الأول ..
طاعته .. تقواه .. مخافته ..
واجبة في السراء وفي الضراء .
والوطن الحبّ الأول ..

ولة كلّ ولاء.

* * *

وعليكم بالعلم وبالأخلاق ..

فالعلمُ أساسُ الوطنيّة.

والعلمُ أساسُ الحرّيّة.

وبه تُبنى أمجادُ الأمتة يا أطفال.

وقديماً يا أطفال..

قالوا في الحكمة والأمثال .

الأممُ الأخلاقُ .. فإن ذهبت ذهبوا.

فهي أساسُ للبنيان..

يا أطفال ..

يا أملَ الحضر والمستقبل في الأجيال.

ضحّوا من أجل حياةٍ أفضل.

ضحّوا من أجل سعادتكم .. وكرامتكم.

لا عاشَ جبان ..

لا عاشَ الجيلُ المهزومُ بأيّ زمان.

* * *

دموع الأحرار ..

[في 20 / 12 / 1991 ، كتبت هذه القصيدة ،
في بغداد ، واليوم ، وحين أحاول الكتابة
عن " أي بلد عربي مرّ بها الربيع العربي " ،
أعود بالذاكرة إلى هذه القصيدة ، فلم أجد خيرا
منها يعبر عن صدق مشاعري]
كلّ ما في الأمر ، استبدلوا اسم العاصمة العربية
بدل بغداد .. وأرجو أن لا نضطر لوضع اسماء
جديدة في قادم الأيام ..

صعبٌ جدًّا أن يبكي رجلٌ حُرٌّ..
لكنَّ الأصعبَ أن يقتله القهرُ..
وهو ضعيفٌ أعزلٌ ..
لا يملكُ أيَّ سلاحٍ ،
لا يدري ماذا يفعلُ؟
لا يسمعه أحدٌ إن صاح ..!

يا ناس

يا كلَّ العربِ بكلِّ مكانٍ ..
يا أمةَ أحمدٍ .. يا عالمٍ ..
يا زمنًا ضاعت فيه النخوةُ ..!
يا زمنًا ضاعت فيه القيمُ الحلوةُ ..!
وانقلبت فيه جميعُ موازينِ الدنيا ..
وانعدمت فيه الرؤيا ..
وقلَّ حياءُ الناسِ ..

يا زمنًا ينذرُ بنهايةِ هذا الكونِ !
فالحرُّ ضعيفٌ ..
ولئيمُ الناسِ وظالمُهُمُ ..
يتسنَّمُ كرسِيَ الحكمِ الدكتاتوريِّ ..!
لهذا العالمِ ..
يأمرُ .. ينهى .. يفعلُ ما شاء ..!

لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللَّهِ ..
بغدادُ الحرَّةُ .. جائعةٌ ..
والحرَّةُ لا تأكلُ بالشرفِ وبالثديِّ ..
وتصونُ كرامتَها أبدًا ..
نفديها بالروحِ .

تطلبُ بغدادُ حليبًا للأطفالِ ..!
وغذاءً للأطفالِ ..
ودواءً للأطفالِ ..
وتنادي الأحرارَ بأمتهِ العربيةِ ..
وتنادي أحرارَ العالمِ ..

لكن الصوت يضيع هباءً ..
فالشرطي الأمريكي ..
حاكم هذا العالم ..
يأمر .. ينهى .. يفعل ما شاء ..
وستصمد بغداد ..
لن ترضى بالذل ..
فبغداد الحرة نبع إباء .

آآآآه ... يا بغداد ..
يظلمك الأهل ،
وظلم الأهل شديد ..
وأنا لا أملك يا بغداد ..
سوى نبض القلب ،
وروحى ودموعي ..
ودموعي من أعلى الأشياء ..

آآآآآه يا بغداد ..
ما أصعب أن يبكي رجل حر ..

لكنَّ الأصبَبَ أن يقتلَه القهر.

وأنا لا أبكي بَعْدَ ..

بل أبكي أمَّتنا العربية..

أبكي حالَّتْنا .. نخوتنا .. وكرامَتنا ..

والإيمانَ الضائعَ .. والحريةَ ..

واقول ..

صبرًا بَعْدَ .. صبرًا غزّة ..

صبرًا

فالفرجُ قريبٌ إن شاء الله ..

الفرجُ قريبٌ ..

* * *

رحلة الضياع ...

أقطعُ كلَّ دروبِ الدنيا ..
أبحثُ عن أرضٍ يخلو منها الجذب!
عن أرضٍ عامرةٍ بالحب .
عن أرضٍ طاهرةٍ يملأها الخصب
تخلو من كلِّ خيانةٍ
تخلو من كلِّ مهانةٍ
أرضٍ تزرعُها شوكةُ
تحصدُ منها الحُب
أرضٍ باركها الربُّ
تعبتِ قدامي ، ضاعت مني الدرب.

* * *

أبحثُ عن دارٍ أسكنُها
تخلو من شيطانِ الرُّعب
دارٍ لا يسكنها إلا الحب
دارٍ يحفظُها أهلُها
ويغارونَ عليها

لا يدخلها أي غريب
لا يخطفها أي غريب
شوكتها دامية
في حلق القادم يسرقها
قبضتها في الحق حديدية
وحدثها ناراً تقطع ..
أيدي الشرّ وتحرقها .

* * *

أبحث عن أرضٍ واسعةٍ
فيها أفياءٌ وظلالٌ
فيها الماءُ .. وفيها الخيرُ
فيها أوديةٌ وجبالٌ
أزرعها .. أحصدها
أرعها .. أحفظها
أحميها والقومُ معي
أيدينا واحدةٌ تجمعهما القوَّةُ
وسواعِدنا .. تملأها النَّخوةُ

يا سعدَ الأُمَّةِ .. إن أكلتُ مما زرعْتَ
يا سعدَ الأُمَّةِ .. إن لبستُ مما صنعْتَ
لكنْ .. أين الدارُ ..
تعبت قدماي .. طال المشوارُ!

* * *

أبحث عن نفس صافيةٍ
أرتاح إليها .. ترتاح إليّ
أبحث عن أيدٍ ناعمةٍ
أستندُ إليها .. تستندُ إليّ
أبحث عن نفسٍ تملأها العفَّةُ
أسكنُ فيها وأروحُ أروحُ بعيداً
خلفَ حدودِ الغيمِ
وأعيشُ هناك معاني الخيرِ
معاني الحبِّ .. معانٍ تملأ نفسي
لا يدركها الناسُ، ولا يدرون معانيها

* * *

أبحثُ عن أشياء كثيرةً ،

أسأل عن أشياء كثيرة°

ويقول الناس ..

هذا مسّ .. أو هذيان

هذا الضائع .. ضاعت منه الدربُ

وضاعت منه صفاتُ الإنسان

وأحْمَلِقُ فيهم ..أضحكُ ..

أضحكُ ..حتى الغثيان

وأنادي يارب ..امحُ العالمَ ..

هذا العالمُ يملأه العميانُ

يملأه الزيفُ، يملأه الشيطانُ

ياربّ هات الطوفانُ

خَلِّ القاربَ ينجو إن شئتُ،

لكن بلا ركبّاب، ولا قُبطان

* * *

رسالة إلى العالم ...
من الطفل الفلسطيني " محمد الدرة "

أنا طفلٌ فلسطيني .. وهذا الفخرُ يكفيني
وأما اسمي واسمُ أبي
وعائلي ، فهذا ليس يعنيني
وأرفضُ أن أكونَ الرمزَ أو رأسَ العناوينِ
فمثلي استشهدَ العشراتُ ، وآلافٌ من الجرحى
وقافلةٌ بلا عددٍ ..
على نفسِ الطريقِ تسيّرُ ، وتحصى بالملايينِ
فداءَ القدسِ .. فداءَ المسجدِ الأقصى
فداءَ الأرضِ ، والزيتونِ والتينِ
وباسمِ براءةِ الأطفالِ .. باسمِ طهارةِ الشهداءِ
باسمِ الأمِّ ، باسمِ الأختِ ، باسمِ العِرضِ ،
باسمِ الأرضِ باسمِ الحقِّ ، والدينِ
أكتبُ من نجيعِ الدَّمِّ ، فوقَ مقابرِ الشهداءِ
إلى أبناءِ أمتِنَا .. وفي شتى بقاعِ الأرضِ
" أراهم إلى نصري بِإِطَاءٍ وَإِنْ هُمْ

دعوني إلى نصرٍ أتيتهمُ شداً " 1
وإن أكلوا لحمي وفرتُ لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيتُ لهم مجدًا "
وبعد ، أضيفُ همُ أهلي .. وأهلي قد أضاعوني
متى تصحو ضمائرهم .. ويوقظهم نداءُ القدس
يا أهلي أعينوني .. !

وأكتبُ من نجيع اللذمِّ
إلى الأحرار في العالم .. إلى الشرفاء في العالم
أنا طفلٌ فلسطيني
ولي وطنٌ ولي بلدٌ .. وبيتٌ فيه يُؤويني
وجاؤوا من أقاصي الأرض ، يهوديٌّ وصهيوني
أبي قتلوه .. وعمي الطاعنُ المسكينُ
بالسكينِ قد ذبحوه ..
ومنزّلنا على من فيه قد هدموه
ألم تدروا بمأساتي .. ؟
وعن شعبي وما عاناهُ من ظلمِ العصاباتِ
فأين ضميركم يا ناسُ؟ أين الحقُّ . ؟ أين العدلُ ؟

فانتصروا لرفع الظلم، عن شعب يريد العدل
يُرِيدُ الحقَّ ، يبغى السلمَ ، ويدفعُ من دماءِ الشيبِ
والشبانِ والأطفالِ ، والأخواتِ ، آلافَ القرايينِ.

* * *

وأكتبُ من نجيع الـدَمِّ

إلى باراك ، إلى شارون ،

كذلك لكلِّ صهيونيِّ

أنا طفلٌ فلسطيني ..

وهذا الفخرُ يكفيني

بروحي أفتدي وطني ..

وشعبي سوف يفديني

وسوف نحررُ الأقصى ..

وكلَّ ترابنا الطاهرُ

ومهما كان حجمُ الظلمِ ،

والتنكيلِ ، والتدميرِ

والتشريدِ ، والتعذيبِ

بعونِ الله.. [نتن ياهو] ..

أنت الخاسئ الخاسرُ
وقدسُ اللهِ سوفَ تعودُ ..
وتُفرشُ بالرياحين ..
وفوق قباب مسجدها ..
سيرتفع النداء الحقُّ
فنسجدُ بالملايينِ
وترجعُ عزّةُ الإسلامِ
ففي شتى بقاع الأرضِ
يحفظُها جنودُ اللهِ
باسمِ الحقِّ والدينِ

* * *

1 - الشاعر : المقنع الكندي محمد بن مظفر -

من بني كنده

رسالة إلى " الصاروخ الفلسطيني " الطفلة عهد التميمي

عهد التميمي، طفلة فلسطينية تبلغ من العمر عشرة أعوام، لفتت أنظار العالم بتحديها للجنود الصهاينة، الذين اعتدوا عليها، وعلى والدتها الناشطة ناريمان التميمي، وشقيقتها مرح التميمي، واعتقلوا أباها " وعد - أربعة عشر عامًا " في مسيرة سلمية مناهضة للاستيطان في قرية النبي صالح، في أغسطس 2012. في مشهد تناقلته وسائل إعلام عالمية. وقد تم تكريمها بجائزة " حنظلة للشجاعة "، الممنوحة لها من قبل بلدية " باشاك شهير "، في إسطنبول بتركيا.

صادقةً يا " عهد "
قلتِ الحقَّ ، والحقُّ مبين.
" لن ننتظرَ "صلاح الدين" ..
لن يأتيَ " معتصمٌ " آخر .
لن ننتظرَ زعيماً عربياً..
فلقد باعوا الأقصى منذ سنين!
لن تتحرَّرَ " قدسُ الله " وحيفاً وجنين..
بدعاءِ الضعفاءِ .. وقصائدِ كلِّ الشعراءِ..
ونفاقِ الخطباءِ .. وبكاءِ وأنين.
تتحرَّرُ قدسُ اللهِ .. وكلُّ فلسطين..
بصمودِ الشعبِ ووحدتهِ ..
بكفاحِ الشعبِ وثورتهِ..
وبكلِّ سلاحٍ يملكُهُ ..
بإرادتهِ .. بججارتِهِ ..
وبالإيمانِ بأنَّ اللهَ تعالى
ينصرُ عبدهُ .. يهزمُ كلَّ عدوِّ وحده..
ينصرُ كلَّ المظلومين "

فأرساة يا عهد..
يا " صاروخ فلسطين"
سلمت .. وسلمت يمناك..
إذ ترتفع بقضبتِها ..
تهتزُّ بوجه الجنديِّ الإسرائيليِّ
كما الزلزال..
سلم لسانك..
يصرخُ في وجه الجنديِّ :
" أين ذهبتم بأخي يا أنذال ..
أعيدوه .. فأنتم جبناءً ..
حتى في وجه الأطفال.
إياك تظنُّ بأني خائفة منك..
أبدأ .. فأنا صاحبة الأرض
وأنت المحتلُّ الغاصبُ .. والدجالُ.
فارحل عنها.. وسترحل عنها..
في يوم نزال..
ينصرنا فيه اللهُ القادرُ والمُتعالُ.

صوت الضمير ..

آه .. آه ، من نفسٍ لا تُدرك أن الموت بعزٍّ ،
خيرٌ من ذلِّ وحياةٍ ..!
آه ، من قلبٍ عشعشٍ فيه الخوفُ ،
الصدأ ، الجرحُ فأدماه ..
آه ، من خطبٍ وقصائدٍ قلناها ،
وكان نفاقًا ما قلناه .
أعجبُ ، أقرفُ ، أقتلُ ، أَسْحَقُ ..
حين أقرنُ ما حققنا بالقولِ ، بما من عملٍ حققناه
!

في الأولى، جهةِ القولِ ..
نافقنا للرؤساءِ وللزعماءِ ،
حاربنا بصواريخِ الكلماتِ الأعداءِ ،
ورفعنا كلَّ شعاراتِ الوحدةِ والحريةِ ،
وهتفنا للوطنِ الواحدِ، والشعبِ الواحدِ
والآمالِ العربيةِ .
هاجمنا الاستعمارَ وأسقطناه ،

أعجبنا ما قلناه ، وخدعنا أنفسنا
بالمعسول من القولِ وصدقناهُ .
هل ذاك غباءٌ أم دجلٌ ، أم خوفٌ ؟
أم كذبٌ يُنجي من عملٍ ..
لا نقدرُ أن نعملهُ، ووجدناه طريقًا سهلًا فسلكناه ؟
هو هذا ، أو ذاك فلا فرق ، فنحن جميعًا ..
نعرفُ درسَ التضليلِ، أو التبريرِ، وإيجادِ الأعذارِ
وحفظناهُ ، وأتقناه ، ومارسناه ..

في الجهةِ الأخرى ، جهةِ الفعلِ !
لم نعملْ شيئًا، لنحققَ شيئًا، وزرعنا شوكةً فحصدناه ..
فلينظرْ كلُّ منّا في المرآةِ ، ليرى الوجوهَ الآخرَ !
ويدققَ كم فعلاً تختلفُ الأشباهُ !

فليسكتُ كلُّ الخطباءِ، وكلُّ الشعراءِ ..
هذا خدرٌ قد عفناه ، وكشفناه ..
هذا حلمٌ كان لذيذًا ما أحلاه ..
لكن حين أفقنا أدركنّا، كم كان الحلمُ قصيرًا ،

كم كان الخطرُ عظيمًا ، كم كان الألمُ كبيرًا .
كم كان الجرحُ عميقًا ..
كم كنا مخدوعين ومسلوبين ..
خدرًا كان كلامُ الشعراءِ ،
وهما كان حماسُ الخطباءِ ..

نمنا نحلُمُ بالنصرِ ، وبالقدسِ ، وفلسطين ..
وأفقنا نطلب لطفَ الله ..!
ذلك أناسًا صدقنا
أن النصرَ سيأتي بالأدعيةِ والكلماتِ ،
ونسينا قولَ الله ، " وأعدُّوا ..
وقلِّلِ اعْمَلُوا .. "
هل يُنصَرُّ من خالفَ أمرَ الله ، لا والله .. !

وآ إسلاماً ..
وآ عرياءَ ،
يا أمَّتنا الإسلاميَّةَ ،
يا أمَّتنا العربيَّةَ ..

بركانُ الغضبِ العربيِّ .. يتفجّرُ فيكم ،
والماردُ يصحو فيكم ..
آن أو أن العملِ الصادقِ ،
والحبِّ الصادقِ ..
والجمعِ الصادقِ ،
آن أو أن تآزرِكُم ، وتعاونِكُم
وتآخِيكُم .. يجمعُكُم حبُّ الله ،
اشهدُ يا ربُّ ..
بأني قد بلغتُ ..
وبنفسي أبدأ ،
إن شاء الله .
* * *

قال الراوي ..

مذ بدأ حراكُ الشَّعبِ العربيِّ ..

بربيعِ الوطنِ العربيِّ ..

أدمنتُ سماعَ الأخبارِ

وسماعَ الندواتِ التليفزيونيةِ ..

وحضورِ الندواتِ العاديةِ والتحليليةِ .

أدمنتُ دخولَ نقاشاتِ حاميةٍ ، غاضبةٍ ،

عاصفةٍ .. أخرجُ منها الخاسرَ ..

ذلكَ أني أتقاطعُ مع خطِّ الطرفِ الآخرِ ..

وأرى عكسَ الرؤيا ..

فالأملُ الساطعُ يملأُ دُنيانا العربيَّةَ ..

وأنا الخائفُ .. والمتشائلُ .. والمترددُ ..

والمُحُ نقطةَ ضوءٍ في آخرِ نفقِ الحريةِ .

وأنا منَ عاشِ الحداثَ بعينِ المُبصرِ ..

ووالواعي ، وبكلِّ تلافيفِ العقلِ البشريَّةِ !!

أدمنتُ نزولَ الشارعِ ، في أيامِ الجُمعةِ ..

إذ تنطلقُ جموعُ الشَّعبِ ..

تهتفُ للعدلِ .. وللخيرِ .. وللحريةِ .

أسمعُ ، أفرحُ ، أبكي ، أتألمُ ..

حين أرى الثورةَ تُسرقُ ..

من بلطجةِ نظامٍ .. أو أحزابٍ ..

أو أصحابِ مصالحٍ شخصيَّةٍ ..

كنت أرى الشرطةَ ، ورجالَ الأمنِ ، وقواتِ الجيشِ ..

تواجهُ من خرجوا بصدورٍ عاريةٍ .. وقلوبٍ صافيةٍ ..

والصوتِ الواحدِ يهتفُ " ثورتنا سلميةٌ " !

تواجهُهم ، بالغازاتِ ، وبرصاصِ المطاطِ ،

والأسلحةِ الحربيَّةِ !

ورأيتُ دماءَ الشهداءِ الأبرارِ ، دماءَ الطُّهرِ ..

تسيلُ بتونس، في ميدانِ التحريرِ، وفي بنغازي ..

في صنعاءَ .. وفي سوريا .

وأبكي ، أنفَجِرُ ، لأنَّ شبابَ الثوراتِ ..

خرجوا يجمعُهُم هدفٌ واحدٌ ..

لكن من غيرِ نظامٍ يحكُمُهُم ..

أو قادةِ صفٍ ترشدهم وتوجههم ..
كانوا نورَ الفتحِ القادم ..
للأحلام .. وللآمال العربية .

سقطَ الحكّامُ .. سقطتْ أنظمةُ القبحِ العربيّة ..
ولأنّ الثوّارَ الأحرارَ ، لا أطماعَ لديهم ..
سكتوا .. فتقدّم من سرقوا الثورةَ ..
وبعضَ فلولِ الحُكمِ السابقِ ..
لتقاسمِ تلكِ الكعكةِ ، خالصةً وشهيّةً .

وسألْتُ الرواي : ماذا بعدُ .

قال: ودموعٌ تملأُ عينيهِ :

"دعوتُ على عمروٍ فماتَ فسرنني ..

فعاشرتُ أقوامًا بكيثُ على عمروٍ " 1

.....
1 : للشاعر البحتري.

عفوًا سيدتي ...

إلى زوجة صديقي الشهيد.

عفوًا سيِّدتي ..

يا ذات " الفستانِ الأسود " !

أتساءلُ مجروحًا ؟

إذ ينبضُ قلبي بالحزنِ ، وبالصبرِ وبالإيمان.

قبل مجيء [اللحظة] ، ألبستِ الفستان؟

ورآك به ، كالجوهرة السوداء،

تضيءُ الوجة النورانيَّ ، بسحرِ فتان .

ورآك به ، كالزنبقة السوداء، واحدةً شامخةً ،

في حقلِ زهورٍ من شتى الألوان .

ورآك به ، شمعَةً نورٍ ، تخرجُ من جُنجِ الليلِ

فتحيلُ العتمةَ ، أطيافًا من قوسِ الألوان .

طيفًا للحبِّ .. وطيفًا للفرحِ ..

وطيفًا للأملِ .. وطيفًا للسحرِ ..

والخامسَ للوجدِ .. والسادسَ للروحِ ..

والسابعَ للأحضان.

معذرةً سيديتي، فأنا أتجاوزُ حدِّي ..

أخجلُ من نفسي ،

حين أفكّرُ، ماذا كان يقولُ ..؟

لما كان يراكِ ملاكًا تختالينِ بثوبِ الكبرِ

هل كان يعلّقُ، والبسمةُ تملأُ عينيه .. وبكلِّ حنان.

" جمالكِ يا روعي.. ما أبقى شيئًا لجمالِ الفستان "

وجاءت تلك "اللحظةُ" ساحقةً ، ماحقةً ..

دونَ استئذانٍ ..

فذهبتِ .. ودارتِ فيكِ الدنيا ..

وفقدتِ الإحساسَ بكلِّ الأشياءِ ..

وعادتِ تختلطُ أمامكِ أطيافٌ من قوسِ الألوان ..

طيفٌ للموتِ .. وطيفٌ للدمعِ .. وطيفٌ للقهرِ ..

وطيفٌ للحزنِ .. والخامسُ للصبرِ ..

والسادسُ صرخاتٌ: عفوكِ يا الله !

والسابعُ طيفٌ من إيمان .

وركعتِ أمامَ الجسدِ المُسجى الطاهرِ

تحفُّ بهِ بعضُ ملائكةِ الرحمنِ ..

وهمستِ لهُ :

"من فضلك أمهني لحظةً صبرٍ

كي ألبسَ فستاني الأسودُ ..

أمهني أعلنُ للناسِ حدادي .."

أمهني كي أعتدَّ عليك ..

وارتفعَ صراخُك ، مخنوقًا ، محمومًا ، مجنونًا ..

" أيقنْتُ أخيرًا أنكِ متِّ .. إذ لا يُعقلُ ، يا لهفَ فؤادي ..

أن تتركني وحدي .. خلفَ سراديبِ غيابِك ..

أحملُ فانوسي .. أترقبُ أن ينبثقَ الفجرُ

من عينيكِ الدافنتين .. ولا تأتي .. !!

أيقنْتُ أخيرًا أنكِ متِّ .. وأشهدُ أنكِ لن تأتي !! "

لن يأتي جسدًا .. لكن الروحَ ترفرفُ حولك ..

أنى كنتِ ..

وحولُ "ملاكِ " أودعهُ فيكِ وعندكِ ..

يدعو لكما بالخيرِ ، وبالسَّعدِ ، وبالحبِّ ..

من أقدس ما يُمكنُ أن يدعو منه الإنسان ..
من أحضانِ الرحمن ...

ولنقرأ فاتحةَ كتابِ اللهِ .. لهُ ..

وللشهداءِ ..

وللموتى ..

وندعو للكلِّ ..

بعفو الله وبالغفران ..

ولأنفسنا بالصبر .. وبالإيمان.

* * *

حكاية إبريق الزَّيْتِ ..

في " نعلين " ..
وبكلّ مكانٍ من أرضِ فلسطين..
يخرجُ أطفالٌ وشبابٌ ، ورجالٌ ونساءً ..
بمسيراتٍ سلميَّةٍ .
يمشي هذا الجمعُ الهادرُ ..
في الشارعِ ، أو طُرقاتِ القريةِ ..
أو حقلِ القمحِ .. أو الزيتونِ ،
أو أرضِ صادرها الأعداءُ ..
لتُصبحَ مستوطنةً ، تعزلاً أو تقسيمٌ ..
أو تصبحُ جرحاً في خصرِ الوطنِ المطعونِ !
يخرجُ هذا الجمعُ ..
لا تخريبَ .. ولا تكسيرَ .. ولا تدميرَ .
بل يهتفُ ضدَّ الظلمِ ، وضدَّ الأسرِ ، وضدَّ القتلِ
وضدَّ الجوعِ ، وضدَّ الفقرِ ، وضدَّ جدارِ الفصلِ .
يهتفُ لفلسطينِ .. للحريَّةِ والنَّحرِيْزِ .

* * *

في الطرف الآخر! يقف جنود شرسون
يمتشقون الأسلحة النارية.
ينطلق هتاف فلسطين، تنطلق قنابل غازية..
يرتفع هتاف ضد جدار الفصل..
تنطلق مائة رصاصة.
يتقدم شاب يرفع علم فلسطين..
ترديه رصاصة.
تبدأ معركة حامية بين الحجر وبين رصاصة
.

بين العين وبين المخرز...!!
يستشهد.. يجرح.. يعتقل كثيرون.
والعالم يتفرج.. والسلطة تستنكر.
ووجوه تلبس " بدلات " أمريكية.
تعطي تصريحات للصحف..
والقنوات وتستنكر.
الأدباء، الكتّاب، الشعراء..
الخطباء ، أنا ، نحن جميعاً نستنكر !

سنكتب شعراً ملتهباً ..
نحرقُ فيه الأُخضرَ واليابسَ .
وسنكتبُ بعضَ مقالاتِ الشجبِ والاستنكارِ
وسنلقي خُطباً حاميةً لأهبةً ، ساحرةً
تبعثُ خدراً في الأعصابِ " وتَفُشُّ الخُلُقَ "
فيرتاحُ الشعبُ العربيُّ البائسُ .
ويعيشُ على الأوهامِ ، على الأحلامِ ،
لتحقيقِ سلامٍ ..
وتعالِ " اتْفَرِّجْ " يا سلام...!!!

* * *

نشيد الكفاح..

أخي في الجهادِ أخي في السلاح ، هناك تركتُ وراءَ البطاح
كرومي وأرضي وأهلي جميعاً شتاتاً ضياعاً ونهباً مباح
أما آن أن نستردَّ العرينَ أما آن أن تهدني يا جراح
فهبوا لنصرةِ حقٍ مبينٍ وغنوا جميعاً نشيد الكفاح

فلسطينُ جنَّتكَ إنِّي فداكِ

سأنزِعُ بالدمِّ حرِّيَّتي

سأحرقُ من عبثوا في ثراكِ

سأرجعُ لا بدَّ من عودتي

* * *

فلسطينُ إنِّي كرهتُ الوعدَ، فلنَ يُرجِعَ الوعدُ أماليه

بعزمٍ وجهدٍ يَفْلُ الحديدَ، سأفديكِ يا أمي الغالية

بدمِّ الشهيدِ الزكيِّ النَّقيِّ ، يسيلُ على أرضِ أجداديه

فيمحقُ أعداءكِ الغاصبينَ، ولا يتبقي لهم باقية

فلسطينُ جنَّتكَ إنِّي فداكِ

سأنزِعُ بالدمِّ حرِّيَّتي

سأحرقُ من عبثوا في ثراكِ

سأرجعُ لا بُدَّ من عودتي

* * *

فلسطينُ إنِّي كرهتُ السَّلامَ، إذا كان ذلًّا على أمتي
بوحدَةٍ صفٍ بغيرِ خصامٍ، يظالُّنا علمُ الوحدَةِ
سنزحفُ للنَّارِ للانتقامِ فيها ابتداءً الزحفُ يا إخوتي
نعيدُ السَّلامَ لأرضِ السَّلامِ ونرجعُ لا بُدَّ من عودَةٍ
فلسطينُ جنَّتكَ إنِّي فداكِ
سأنزِعُ بالدمِّ حُرِّيَّتي
سأحرقُ من عبثوا في تَراكِ
سأرجعُ لا بُدَّ من عودتي

* * *

قالتُ تلكَ الطِّفلةُ ..

حدَّثني جدِّي قال :

كانَ النَّاسُ قَدِيمًا بَسْطَاءُ .

لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ .. طَمَعٌ فِي الدُّنْيَا ..

فِي أَنْ يُصْبِحَ مَشْهُورًا وَغَنِيًّا ،

أَوْ صَاحِبَ جَاهٍ وَثِرَاءٍ .

كَانَ غَنَى النَّفْسِ غِنَاهُمْ ..

وَرِضَا اللَّهِ رِضَاهُمْ ..

وَقَنَاعَتُهُمْ رَاسِخَةٌ ..

أَنَّ الرَّزْقَ مِنَ اللَّهِ ..

يُرزَقُ مَنْ شَاءَ .. مَتَى شَاءَ .

كَانَ النَّاسُ قَدِيمًا بَسْطَاءَ

كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ ..

يَذْهَبُ لِلْعَمَلِ صَبَاحًا ..

وَيَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ مَسَاءً ..

وينامُ قريرَ العينِ سعيَداً..
بينَ الزوجةِ والأبناءِ .
كانَ الناسُ قديماً بسطاءً ..
يجمعُهُمُ حبُّ الخيرِ..
صدقُ الحبِّ ..حسُنُ الجيرةِ..
طيبُ المعشرِ..كرمُ موروثٍ وسخاءُ..
ويكونونَ معاً ، يداً واحدةً ..
في السراءِ ، وفي الضراءِ ..
قلتُ : ما أجملُ تلكَ الأيامِ ..أتحنُّ إليها ..؟
قالَ : كثيراً .. لكنْ ..
راحت تلكَ الأيامِ ..
وصارت ذكري ..
أو مبعثٌ سلوى .. وعزاءُ.

* * *

لستُ العانسَ ..

وقفت في الشباك .. كان الوقت مساءً ..
نظرت نحو الأفق المصبوغ بلون الدَّم ..
وقالت : آآآآآه ..

هذا الشفق الدامي مثل جراح القلب!
والقلب حزين ، يشكو الألم ، ويشكو الأحب ،
ويسأل عن معنى " العانسِ !!! "
يسمعها فيقول " سترك يا رباً "
ماذا يعني أن فتاة بدأت تنهي العقد الثالث.
لم تتزوج حتى الآن !؟
ما دامت تحيا راضية قانعةً وبكلّ أمان!
ولماذا تُصبح مُضغّةَ السنةِ الناسِ !..

وموضعَ عَطفٍ ؟ أو سخريةٍ وهوان ؟
ولماذا يعترضُ الناسُ ..
على أمرٍ قَدَّرَهُ الرحمنُ ؟

أنسُوا أن الحكمةَ قالت :
"إن قلَّ حياءُ الناسِ، ضاعَ الإيمانُ"
أمي حين تراني تهمسُ ،
سَتَرَ اللهُ عَلَيْكَ!
وأبي حين يراني ، يحضُنُنِي ويقول:
لا أملكُ غيرَ حياتي ..
وحياتي ملكُ يديكِ!..
وأخي حين يراني ،
يُمسِكُ خصلاتٍ من شعري..
فيداعِبُها ، يتغزَلُ فيَّ .. ثم يقول:
ما أظهرَ قلبكُ ! ما أجملَ عينيكَ!
لا يعمرُ هذا البيتُ بدونكُ.
فأنتِ الشَّمعةُ ، أنتِ البسمةُ ،

أنتِ الصدرُ الحاني.
نأخذُ منكِ الحبَّ ،
وعندَ اليأسِ نعودُ إليكِ

* * *

حتى الجارات ..
إن جئنَ لأمي يشربنَ القهوةَ ..
بدأنَ حديثًا عني !! ودعاءً لي ..
وقلنَ لها:

لبيكِ ! سنساعدُ في إيجادِ "عريسٍ" يسترها،
فتتمتِ أمي :

ياربَّ أنتَ الساترُ ، وأنا أتكلمُ عليكِ

* * *

كنتُ وراءَ البابِ ، أستمعُ إليهنَّ ،
أضحكُ حينًا .. أدمعُ حينًا ..
أتألمُ أحيانًا !!
لكني ما عدتُ أطيقُ الصمتَ ..
فخرجتُ إليهنَّ وقلتُ:

يا خالات!! حرامّ هذا !!

وكلامّ فيه هُراء!

لم أتزوَّج .. هذا قدرٌ وقضاءٌ

وأنا لستُ بضاعةٍ سوءٍ ..

تُعَرِّضُ في السوقِ لبيعٍ وشراء!

وأنا لا أحتاجُ عريسًا ، أيّ عريسٍ !

ولماذا؟!

يسْتُرُّني ؟ ربِّي الساترُ ، وأنا طاهرةٌ طُهِرَ الماء!

يُطْعِمُنِي ؟ في بيتي فاكهةٌ وغذاء!

يكسُونِي ؟ دولابي مملوءٌ بالأزياء!

يُعْطِينِي ؟ عندي ما يكفي .

والله كريمٌ معطاء!

للشهوةِ ، للأبناغِ ..؟

أصبرُ والصَّبرُ ثوابٌ وعزاء.

* * *

ماذا بعدُ؟ لستُ العانسُ ،
فالعانسُ من جلستُ تبكي
تَنذُبُ حظًا ..

تنتظرُ " عريسَ الغفلةِ "
والقادمَ فوقِ حصانِ أعرجِ !
أو أيِّ حمارٍ ... إنِ جاعًا!!

اعتراف ...

"جبانٌ" يا مليحةُ فافهميني
وإن أعضيتُ خوفاً فاعذريني

تراقبني عيونُ الناسِ دوماً
ويقرأ بعضهم ما في عيوني

ويرجو لو يُفتشُ في فؤادي
ليعرفَ علتي ويرى دفيني

فأتركهم وشأنهم لماذا
يَعزُّ عليهم أن يتركوني

أحبك ما جهرتُ بها لنفسي
ولا نطقتُ بها شوقاً عيوني

ولا همستُ بها غصباً شفاهي
ولا رفقتُ بها عفواً جفوني

فحبك نبضةٌ عاشت بقلبي
تشاركه الحياةَ مدى السنين

وحبُّك ما عرفتُ به ظنونا

فَظَنِّي فِيكَ إِثْمٌ فِي يَقِينِي

وَحُبُّكَ عَشْتُهُ صَبْرًا وَطَهْرًا
وَإِيمَانًا كَأِيمَانِي بِدِينِي

وَحُبُّكَ وَمِضَةُ الْإِشْرَاقِ عِنْدِي
كَأَحْسَاسِ السَّعَادَةِ يَعْترِينِي

أَكَادُ أَطِيرُ إِنْ أَقْبَلْتِ لَكُنْ
تَقْوَمُ مَخَافَةُ الرِّقْبَاءِ دُونِي

وَأَلْمَحُ ثَغْرَكَ الْوَضَّاحُ نَارًا
تَمْرُقُنِي وَتَعْبَثُ فِي سَكُونِي

فَأَصْمَتُ فِي هَدْوَةٍ وَأَتَّزَانُ
يُعَذِّبُنِي وَيُضْنِينِي حَنِينِي

أَدَارِي مَا أَحْسَنُ بِهِ وَأَمْضِي
أَغَالِبُ مَظْهَرَ الرَّجُلِ الرَّزِينِ

أريدك أن تحلّي في فؤادي
ضميراً حلّ في حرزٍ مكين

أغارُ عليكِ من نفسي ومَنّي
أغارُ عليكِ حتى من ظنوني

جبانٌ ما خشيتُ لقاءَ خصمٍ
ولا أجمتُ عن بذلِ ثمين

ولكن كلّ ما أرجوه أنّي
أقيدك مغبّة القولِ الهجين

فأمشي كلما قالوا " فتاة!!!"

قريرَ العينِ مرفوعَ الجبينِ

أرجّي أن يأمّ الله شملاً

فنعمَ بالرّفاءِ وبالبنينِ

أنهآر للنشر الإلكتروني
لا تتحمل أي مسؤولية أدبية أو فكرية أو قانونية
عن محتوى الكتب المنشورة
والمواد المنشورة تعبر عن رأي كاتبها فقط
كما نحذر من إعادة نشر هذا الكتاب إلكترونيا أو بأي وسيلة
أخرى
من دون الحصول على كتاب موافقة موقع
من المدير العام للناشر الإلكتروني د.شوق العبدالله أو من ينوب
عنها

الناشر الإلكتروني
anhaar.com

نشرت هذه المادة إلكترونيا وفقا لشروط مسابقة الناشر للشعر
العربي 2015